معا · فالمصالحة تعني ايقاف الحركة ، أي ربط الشكل والمضمون بلحظة زمنية ساكنة · لقد كان عجز هذه الفلسفة مكتوبا في نظامها الفلسفي نفسه ، حين جعلت لنهر التاريخ مصبا وجعلت من المستنقع البرجوازي مصبه الاخير : ينطبق هذا المنطق حتى على هيجل، أكثر رموز هذه الفلسفة ذكاء وقدرة على حدس جوهر الرأسمالية ، الذي اضاع ملاحظاته الصائبة عن طبيعة المجتمع الرأسمالي في متاهة « الروح » · فهو عندما أبصر ان انحطاط الرأسمالية يؤدي الى انحطاط الفن ، ترك الواقع هادئا ، وادخل بصيرته في نظرية خاطئة عن نهاية الفن ·

تميز الشكل الروائي

لا يخطىء شلنغ Schelling الحقيقة عندما يقول « ليست الرواية موضوعية الا في شكلها » · واهمية الشكل ودلالته تدعو الى دراسته دراسة غير شكلية ، دراسة تلمس بعده التاريخي وسيرورة تكونه · ان معالجة الشكل الروائي تستدعي جدليا الوقوف ولو قليلا أمام الشكل الملحمي ·

تتعارض الملحمة مع الرواية في الشكل والتركيب تعارضا يمليه تفارق زمان هذين النوعين الادبيين · ينهض الشكل الملحمي على بطل عاش زمانه في خط مستقيم ، وحقق ذاته في كل لحظة كجزء متجانس في كلية متجانسة · فزمان البطل الملحمي هو زمان تحققه المستمر ، تحقق يعطي دفعة واحدة ومنذ البدء ، والوجود المتحقق منذ البدء لا يعرف التطور لانه لا يحتاج اليه · لذلك لا يحتاج البطل الملحمي الى أي شرح تكويني Génétique ويستطيع ان يبدأ مساره في أية لحظة موائمة لدورة الحدث الملحمي · وعندما تتعرض الملحمة للماضي ، فانها لا تفعل ذلك لانارة الشخصية الملحمية وتطويرها، بل لانارة العالم ورسم صورته وزيادة التوتر الملحمي · اذا تركنا الملحمة جانبا ، ونظرنا الى الرواية ، نجد أن الامر يختلف قطبيا : استعادة الماضي ضرورية من أجل تقديم شرح تكويني للحاضر ، وللتطور اللاحق · لكن التركيز على السيرورة الذاتية للبطل (سيرته الذاتية) ومسارها التكويني لا يعني نقلها الى مستوى القانون العام لان ذلك يقود الى السقوط في شكلية جامدة ، معنى ذلك ان الشرح التكويني للبنيان الروائي لا يستلزم شرحا تكوينيا لمسار البطل · وقد كتب الروائي العظيم بلزاك اعماله دون ان يأبه كثيرا الى المسار التكويني للبطل ·

يتحدد الشكل الروائي بشكل اللحظة التاريخية التي يرسمها ، ولما كانت هذه اللحظة هي لحظة المجتمع الرأسمالي المحكوم بتناقض غير محلول ، كان لا بد ان ينعكس هذا التناقض في الشكل الروائي · فالعالم الرأسمالي هو عالم يصبح فيه الفكر غريبا عن ذاته ، وتستحيل فيه العفوية الطليقة الى كيان مقيد مشوه ، وتمسي فيه اللغة لغة التمزق والاغتراب · لذلك فان الشكل الروائي لا يستطيع ـ شاء أم ابى ـ الا أن يحتضن تناقضات المجتمع الذي يرسمه والتي تشكل القوة المحركة لحياة المجتمع البرجوازي ، وحتى عندما يسعى هذا الشكل رسم « حالة وسطية » فان تناقضات الحياة تعود لتشي من جديد بهذا « الوسط » الزائف وتشير الى تناقضه الحقيقي ·

ومع ذلك فان المعرفة الخلاقة للتناقضات الغير محلولة كقوة محركة للمجتمع الرأسمالي لا تعطي الا مقدمة الشكل الروائي وليس الشكل نفسه ، فاذا عدنا الى احدى المقولات الصحيحة عند هيجل ، وجدناه يقول : ان المعرفة الصحيحة للوضع العام في المجتمع